

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [الشعراء: 200 - 203]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

لما نفى القرآن عن المشركين الإيمان بسبب كفرهم العتيد، ناسب أن ينتقل إلى بيان أن عدم إيمانهم راجع لكبرهم وصلفهم، فقد سلكه الله في قلوبهم فضلاً عن أسماعهم، وأكد أنهم لن يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم؛ فهو انتقال من بيان أسباب عدم الإيمان، إلى بيان حالهم في المال.

الانتقال من نفي
الإيمان، إلى
أسباب الكفران،
إلى مآل الإجرام

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿سَلَكْنَاهُ﴾: (سلك) أصلٌ يدلُّ على نفوذ شيءٍ في شيءٍ، يقال سَلَكْتُ الطَّرِيقَ أَسْلُكُهُ، وَسَلَكْتُ الشَّيْءَ فِي الشَّيْءِ: أَنْفَذْتَهُ، وَالطَّعَنَةَ السُّلْكَ، إِذَا طَعَنَهُ تَلَقَّاهُ وَجْهَهُ، وَسَلَكْتُ الشَّيْءَ فِي الشَّيْءِ فَانْسَلَكْتُ أَيَّ أَدَخَلْتُهُ فِيهِ فَدَخَلَ⁽¹⁾، وَمَعْنَاهُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾: أَدَخَلْنَا وَمَكَّنَّا وَقَرَّرْنَا.

(2) ﴿بَغْتَةً﴾: (بغت) أصلٌ واحدٌ لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ، مِنْهُ الْبَغْتُ، وَهُوَ أَنْ يَفْجَأَ الشَّيْءُ⁽²⁾؛ بَغْتَهُ، أَيَّ فَاجَأَهُ، وَلَقِيْتَهُ بَغْتَةً، أَيَّ فَجَأَةً، وَالْمَبَاغَةَ: الْمَفْاجَأَةَ⁽³⁾؛ وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ عَذَابِ الْمُجْرِمِينَ: ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾.

(3) ﴿مُنْظَرُونَ﴾: (نظر) أصلٌ يدلُّ على تَأَمُّلِ الشَّيْءِ وَمُعَايَنَتِهِ⁽⁴⁾، ثُمَّ أَخَذَ مَعْنَى الْإِمْهَالِ وَالْإِنْتِظَارِ مِنَ التَّرَقُّبِ وَالتَّفَحُّصِ فِي الْمَوَاجِهةِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (سلك).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بغت).

(3) الجوهري، الصحاح: (بغت).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نظر).

بَالَعَيْنَ، فَإِنَّ التَّفَحُّصَ والتَّأَمُّلَ يستغرق زمناً⁽¹⁾؛ تقول العرب: أنظرني، أي انتظرني قليلاً، ويقول المتكلم لمن يُعجله: أنظرني أبتلع ريقِي، أي أمهلني، والإنظار: التأخير والإمهال، يقال: أنظرته أنظره، أي أمهلته وأخرته، واستنظره: طلب منه النِّظرة واستمهله، وأنظره: أخره⁽²⁾، والمقصود بطلب الإنظار في قول الله تعالى ﴿هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾: أنهم يطلبون الإمهال عند مجيء العذاب بغتةً.

❁ الْمَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

معرفة الحق غير كافية في الإيمان ونجاة العباد

بَيَّنَّتِ الآيَاتُ أَثَرَ القرآن في قلوب المجرمين، وأنه تمكَّن منهم حتَّى عرفوه، ومع ذلك فلم يؤمنوا؛ ثم أكَّد هذا المعنى مُبَيِّنًا أَنَّهُمْ مُسْتَمِرُّونَ عَلَى المُكَابَرَةِ بعدم الإيمان حتَّى يحلَّ بِهِمُ العَذَابُ بغتةً، ومن ثمَّ يطلبون الإمهال والإنظار.

❁ الإيضاح اللُّغَوِيُّ والبَلَاغِيُّ:

بَلَاغَةُ الاستِثْنَاءِ البَيَانِيَّةِ ﴿كَذَلِكَ﴾:

عجائب الكفر تدعو إلى بؤاد الاستفهام

ورد قول الله تعالى ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ على طريق الفصل استِثْنَاءً بَيَانِيًّا، فقد أثار ما قبلها سؤالاً: كيف كفروا بالقرآن مع توارُدِ الحُجَج والأدلة على أَنَّ الله تعالى نَزَلَ القرآن على قلب رسولِ الله ﷺ وأنه من عند الله تعالى، فإنَّ ظهور هذه الحجج يقتضي ألا يكفر به أحدٌ؟ فقال تعالى ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾⁽³⁾.

بَلَاغَةُ التَّشْبِيهِ فِي ﴿كَذَلِكَ﴾:

من بديع التشبيه تشبيه الشيء بنفسه

لَمَّا كَانَ لَفْظُ ﴿كَذَلِكَ﴾ من قول الله تعالى ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ مفيداً التَّشْبِيهَ على أمرٍ قد سبق، أو أمرٍ حاضِرٍ

(1) جبل، العجم الاشتقاقِي المؤصل: (نظر).

(2) ابن منظور، لسان العرب: (نظر).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 194 / 19.

في ذهن المخاطب، كان اسم الإشارة الذي للبعيد (ذلك) للتعبير عن المشبه به الذي يكون مركب الصورة والمعنى، فهو تشبيه السلوك المأخوذ من ﴿سَلَكْنَهُ﴾ بنفسه لغرابته، أي: هو سلوك لا يشبهه سلوك، وهو أنه دخل قلوبهم بإبانته، وعرفوا دلائل صدقه من أخبار علماء بني إسرائيل، ومع ذلك لم يؤمنوا به⁽¹⁾؛ فأوجز معناه التركيبي في لفظ واحد، وجعله مشبهًا به ثم ذكر المشبه، فيكون هذا التركيب من قبيل التشبيه المركب.

ويحتمل أن يكون التشبيه في قول الله تعالى ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ تشبيهًا بين سلكين، فالتشبيه بين حالين يقتضي في الأصل تغاير من حل به كل منهما، فالمعنى: مثل ذلك السلك في قلوب قريش، سلكناه في قلوب من أجزم - أراد بهم مجرمي كل أمة - لا شترأكيهما في علة السلك وهو الإجمام؛ أي إن هذه عادة الله فيهم، أنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب، فلا ينفعهم الإيمان بعد تلبس العذاب بهم، وهذا على جهة المثال لقريش، أي هؤلاء كذلك، وكشف الغيب بما تضمنته الآية يوم بدر⁽²⁾؛ وهو يؤكد أن الكفر كله ملة واحدة، مهما اختلف الزمان والمكان.

دلالة إسناد فعل السلك إلى نون العظمة ﴿سَلَكْنَهُ﴾:

أسند فعل السلك في قول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ إلى نون العظمة لبيان أن الأمور كلها بيد الله الواحد الأحد، وأنه لا يدخل شيء في قلوب العباد إلا بإذنه.

تعيين مرجع ضمير مفعول ﴿سَلَكْنَهُ﴾:

ضمير المفعول لفعل السلك من قول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ إما أن يعود على ما عادت عليه الضمائر

عدم إيمان
المجرمين، حتى
يروا العذاب
الأليم سنة الله
الكونية فيهم

يحتمل عود
الضمير على
القرآن أو على
الكتاب

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 194 / 19.

(2) أبو حيان البحر المحیط: 192 / 8.

وهو القرآن، أي: مكَّنَّا القرآنَ في قلوبهم حتَّى فهموه، ومع ذلك جحدوه وأنكروه، وإمَّا أن يعود على الكفر والتَّكْذِيبِ، وأَرَادَ بِهِ أَنَّهُ صَارَ ذَلِكَ التَّكْذِيبُ مُتَمَكِّنًا فِي قُلُوبِهِمْ أَشَدَّ التَّمَكُّنِ، فَصَارَ ذَلِكَ كَالشَّيْءِ الْجَبَلِيِّ (1).

بلاغة استعمال حرف الظرفية ﴿فِي﴾:

تصوير المعاني
وتشخيصها
أبين في الحجة
والبرهان

استعمل النظم الكريم حرفَ الظرفية في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ وهي ظرفية حقيقية، سواءً حُمِلَ المسلوكة على الكفر والتَّكْذِيبِ، أو القرآن مع التَّكْذِيبِ به؛ فهي لإقامة الحجة عليهم إذا جعلنا المسلوكة القرآن، ولبيان تمكُّن الجحود من قلوبهم واستقراره فيها استقرارَ الظرف في المظروف إذا جعلنا المسلوكة الكفر والتَّكْذِيبِ.

بلاغة استعمال مفردة القلوب:

القلوب هي
موضع التمييز
والإرادة، ومجمع
الأحاسيس
والشعور

استعمل النظم الكريم لفظَ القلوب في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ وخصَّه من بين سائر أعضاء الإدراك، لأنَّه موضع التمييز والفهم والإرادة، ومجتمع المشاعر من الخوف والوجل والخشية والترغيب والترهيب، وقد شبَّه القلوب بالوعاء، الذي يدخله المسلوكة، وقرينة ذلك: حرفُ الظرفية؛ فإذا كان المقصود القرآن فسريراً ما يُخرج، وإذا كان المقصود الكفر فهو ما كُتِّبَ لا بُدَّ.

دلالة الإضافة في ﴿قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾:

الإجرام أعظم
أسباب التَّكْذِيبِ

دلَّت إضافة القلوب إلى لفظ المجرمين في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ على بشاعة تلك القلوب وسوادها، حيث اكتسبت ظلمتها من ظلمات أصحابها، وبيّنت الإضافة سبب التَّكْذِيبِ واضحاً جلياً للعيان، وهو الإجرام الذي اتَّصف به أصحاب تلك القلوب.

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 337، وأبو حيان، البحر الحيط: 8/ 191.

بلادة الإظهار في ﴿قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ وفائدته:

لم يختَرِ النَّظْمُ مسلكَ الإضمار في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكَنتُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾، حيث لم يقل: (في قلوبهم)، بل أتى بالاسم الظاهر: ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾، تشنيعاً عليهم، وإظهاراً لاستحقاقهم العذاب بسبب إجرامهم، وتعميماً لقضيته، حتى لا تقتصر على كفار مكة، فتكون أوقع في الرّجر لهم ولمن سلك مسلكهم في كل زمان ومكان.

معنى تعريف ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾:

(أل) في لفظ ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ من قول الله تعالى ﴿كَذَلِكَ سَلَكَنتُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ للعهد الذهني، أي: المجرمين المعهودين من كفار مكة، وفي هذا تبشيع لجرمهم، حيث صاروا علماً في الإجمام والضلال، وتحتل أن تكون (أل) للجنس، ويكون اللفظ المعرف به قد دلّ على عموم المجرمين بدلالة (أل) على الجنس، ليشمل كلّ من نهَجَ نهَجَهُم، وصار على طريقهم في الضلال.

توجيه تخصيص الإجمام بالذكر:

آثر النَّظْمُ الكريم استعمال مفردة الإجمام في قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ سَلَكَنتُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ دون أن يقال (كذلك سلكناه في قلوب المجرمين)، بل عبّر عن المجرمين بـ ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾؛ لأنّ كفرهم بعد نزول القرآن إجماماً⁽¹⁾ وإنكار وجحد بعد ظهور الدليل والبرهان.

توجيه التشابه اللفظي مع آية الحجر:

جاء قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكَنتُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ بصيغة الماضي، بينما جاء في سورة الحجر بصيغة المضارع: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر: 12]، وفيه مناسبة حسنة؛ فوجه اختيار المضارع في آية الحجر أنّه دالٌّ على التجدد، لئلا

تكثير المعاني
أولى من قصرها
على معيّن

يحتمل التعريف
أن يكون للعهد
أو الجنس

تكذيب القرآن
أبشع صور
الإجمام

دفع أوهام
الأفهام من
معنيات النظم
القرآني

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19 / 194.

يَتَوَهَّمُ أَنَّ المقصودَ إبلاغُ مَضَى، وهو الذي أُبلغَ لِشَيْعِ الْأَوَّلِينَ المتقدِّمِ ذِكْرَهُمْ في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجر: 10]، فَيَتَوَهَّمُ أَنَّهُمُ المرادُ بالمجرمينَ مع أَنَّ المرادَ كفَّارُ قريشٍ، وأمَّا هذه الآيةُ فلمَ يَتَقَدَّمُ فيها ذِكْرُ قَرِيبٍ لغيرِ كفَّارِ قريشٍ، فناسَبَها حكايةُ وقوعِ هذا الإبلاغِ مُنْذُ زمنٍ مَضَى، وهم مُسْتَمِرُّونَ على عدمِ الإيمانِ⁽¹⁾.

بلاغة موقِع جُمْلَةٍ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مِنْ سَابِقَتِهَا:

المعاني المتتابعة
تستكمل
الاتساق
السياقي
والتلاحم
البلاغي

جاء قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ مفصُولاً عمَّا قبله لكمال الاتصال، حيث وَقَعَتْ من سَابِقَتِهَا بمنزلةِ البيان والتأكيد، ووقعت مَوَاقِعَ المَوْضُحِ والمُلَخَّصِ؛ لأنَّ السَّابِقَ وهو قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ مَسْوقٌ لإثبات عدمِ إيمانِ المشركين، فأتبع ما يقرِّرُ هذا المعنى من أَنَّهُم لا يزالون على التَّكْذِيبِ به وجحوده حتى يعاينوا الوعيدَ، ويجوز أن يكون حالاً من ضمير الهاء في ﴿سَلَكْنَاهُ﴾ أو حالاً من ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾؛ وعلى اعتبار الحالِّية فلا فصل؛ لأنها حينئذٍ جُمْلَةٌ لها مَوَاقِعُ من الإعراب⁽²⁾.

غرض النَّفي بأداة ﴿لَا﴾:

تنزيل انتفاء
سعي الكافرين
لإيمان على
واقعهم

النَّفيُّ بأداة ﴿لَا﴾ في قول الله تعالى ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ يستغرق الحال والمستقبل، فهو قطعٌ بعدمِ إيمانِهِمْ؛ وفيه تسليةٌ لرسول الله ﷺ، في تبيئسه منهم، وتهدئةِ نفسه وطمأننتها.

دلالة التَّعبير بصيغة المضارع ﴿يُؤْمِنُونَ﴾:

جاء التَّعبيرُ بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ المنفي، للدلالة على استمرارهم في عدم الإيمان، ويقوى هذا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19 / 194.

(2) الرَّمْخُسَرِيُّ، الكُشَاف: 3 / 337.

الاعتبارُ في احتمالِ حاليَّةِ الجملة، أي: يستمرُّون على ما هم عليه من التَّكْذِيبِ، وذلك شأنهم؛ فهي حالٌ مقارِنة لازمةٌ، ولذلك كان النَّفْيُ داخلًا على المضارع؛ لأنَّ فيه تصويرًا لعدمِ إيمانهم، وإحضارًا لصورته إذ هم مادِّيَّون حسيِّون، لا يُؤْمِنُونَ إلَّا بالمحسوسات.

نوعُ بَاءٍ ﴿بِه﴾ وفائدتها:

الباء في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ للملابسة والإصاق، وهي تُشير إلى نفي ملابسة إيمان قلوبهم للقرآن.

نكتةُ التَّعْبِيرِ بحرفِ انتهاءِ الغايةِ ﴿حَتَّى﴾:

استعمل النَّظْمُ أداةَ ﴿حَتَّى﴾ الغائيَّة في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ لإقرار مجموعةٍ من المعاني المكتنزة، منها: النَّقْضِي شَيْئًا فَشِيئًا، وبيانُ غايةِ عدمِ الإيمان، أي: فحينئذٍ ينتهي عدمُ الإيمان بالإيمان؛ ومنها: أنَّ الإيمان لا ينفعهم حين يرون العذاب؛ ومنها: الحثُّ على المبادرة إلى الإيمان قبل أن يحلَّ بهم، فما زالت الفرصة سانحةً أمامهم؛ ومنها: أنَّ العذاب الأليم مُلْجِيٌّ للإيمان بالقرآن وبالنَّبِيِّ ﷺ حين لا ينفعهم الإيمان، ليفيد بلازمه عِظَمَ العذاب وظهورَ قدرةِ الله تعالى فيه.

دلالةُ استعمالِ فعلِ الرَّؤْيَةِ ﴿يَرَوْا﴾:

انتقى النَّظْمُ فعلَ الرَّؤْيَةِ في قول الله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ للدلالة على أنَّ إيمانهم لا يقع بالعقل، بل لا بدَّ أن يروه بأعينهم؛ فلا اعتدادَ عندهم بالغيبات، وإنَّما ينحصر إيمانهم في المحسوسات.

فائدةُ تعريفِ لفظِ ﴿الْعَذَابِ﴾:

(أل) في لفظِ ﴿الْعَذَابِ﴾ من قول الله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ للجنس، والمرادُ به العذابُ المُلْجِيٌّ للإيمان، أي: حين لا ينفع الإيمان؛ والعذاب هو الموت بالسَّيْفِ، أو عذابُ الآخرة، أيُّهما يقع أولًا.

نكذُ المشرك
يكمُنُ في تكذيبه
وعناده المستمرُّ
على ذلك

إذا وقع العذابُ
الأليم لم ينفع
إيمانُ صاحبه

طلبُ الجاحدين
للعلاماتِ
الحسِّيَّة لا
يوقِفُهُ إلَّا أن
يغرقوا في أشدَّ
للمحسوساتِ
إيلامًا وهو
العذابُ الأليم

نكتة وصف العذاب بصفة «الآليم»:

وُصف العذاب بالآليم في قول الله تعالى «لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْآلِيمَ»، وفعل هنا بمعنى اسم الفاعل، أي العذاب المؤلم؛ للمبالغة في شدة هذا العذاب، وقوة إيلامه في الجسد والروح.

براعة العطف بالفاء في «فَيَأْتِيَهُمْ»:

دلَّتِ الفاء الداخلة على فعل الإتيان في قول الله تعالى: «لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْآلِيمَ ﴿٣٨﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً» على التعقيب مع الترتب في الوجود والشدة؛ فليس المعنى إرداف رؤية العذاب بالبعثة، إذ ليس الإتيان مرتباً على الرؤية ولا واقعاً عقبتها، كيف وهما متلازمان؟! وإنما المراد الدلالة على الانتقال من شدة إلى شدة، ومن عذاب إلى عذاب أفطع، كأنه قيل: لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب، فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة⁽¹⁾؛ فالفاء، مع إفادتها التعقيب، تفيد ترتيب الإخبار، فهي هنا للترتيب الذكري.

وتفيد أيضاً عطف المفصل على المجرى، لبيان حالة رؤيتهم العذاب وتصويرها، بغرض تفصيل المجرى؛ فقد أجمل في الجملة السابقة «لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْآلِيمَ»، ثم فصل هنا شدة العذاب وكيفية نزوله فقال: «فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ»، تفصيلاً للمجرى، وتضعيداً للشدة، وترقياً في وصف فجأة العذاب.

مناسبة استعمال مفردة الإتيان:

ناسب استعمال مفردة الإتيان في قول الله تعالى: «فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً» السياق، فالإتيان: مجيء بسهولة، وعبر به دون المجيء أو الأخذ، ليدل على السرعة والفجاءة؛ فلم يقل مثلاً: (يأخذهم بغتة)، لتكتمل عناصر المفاجأة، وهي أشد على النفس، وأوقع في العذاب.

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 337، 338.

بيان ارتباط رؤية
العذاب ببغته
وتداخل أنواع
الشدائد

أفخم الألفاظ ما
ناسب السياق
والنظم

بلاغة الاستعارة المكنية في إتيان العذاب:

ضمير الفاعل لفعل الإتيان من قول الله تعالى: ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ يعود على العذاب الأليم؛ وقد جاء الكلام على طريقة الاستعارة المكنية، حيث شبه العذاب بشخص يأتي، فحذف المشبه به وذكر المشبه، ودل عليه بلازمه وهو الإتيان، وفيه تشخيص واضح للعذاب بصورة كائن حي متحرك يملك القدرة على الإتيان بنفسه؛ ووراء ذلك مبالغة في شدة هذا العذاب.

نكتة استعمال لفظ ﴿بَغْتَةً﴾:

البغت هو الفجاءة من حيث لا يُحتسب، وقد استعمل اللفظ في قوله تعالى: ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ ليدل على أنه يأتي من حيث لا يتوقعون؛ فجمع عليهم العذاب المادي والمعنوي.

دلالة وقوع ﴿بَغْتَةً﴾ حالاً:

دلّت الحالة في لفظ البغت من قول الله تعالى ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ على تلُّس إتيان العذاب بالمباغطة والفجاءة، إذ لا وقت لديهم للتفكير أو النجاة، أو البحث عن وسائل النجاة أو الإمهال والتأخير؛ ولذا جيء عقبه بطلبهم الإمهال والنظرة، دون مجيب.

فائدة واو الحال وبلاغتها:

لما كان البغت هو الإتيان على غفلة، حقق ذلك بجملة الحال فقال تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، ليؤكد على المباغطة والمفاجأة، دون توقُّع أو تأهب لوقوع العذاب؛ وهذا أشد وأنكى، فاجتمع عليهم المفاجأة الذاتية في العذاب، وعدم الشعور من قبلهم، فهي غفلة صاحبها فجاءة مقصودة، وهذا من أعظم العذاب المُفجع.

دلالة الجملة الاسمية:

دلّت الجملة الاسمية ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ على الثبوت والدوام على حال الغفلة، وعدم التأهب لنزول العذاب، ودوامهم على تلك الحال.

تشخيص المعاني
أرسخ في تثبيت
الحقائق

إذا وقع العذاب
فلا إنظار ولا
إمهال

أعظم الفجع
وأكبر الفزع
غفلة للعذب
وفجاءة العذاب

انعدام الشعور
إثبات لتجدد
الغفلة

فائدة مجيء المسند جملةً فعليةً:

جاء المسند في قول الله تعالى ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، وهو الخبر ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ جملةً فعليةً منفيةً، ليدلَّ على انعدام شعورهم بأدنى درجات الخوف أو القلق، فقد كانوا في مأمن واستكانوا إليه؛ فإنَّ نفي الشعور بصيغة المضارع إثباتٌ لتجدد الغفلة، مع ما فيه من استحضار لما كانوا عليه من صورة الغفلة والأمن، وأنَّه لم يخطر ببال أحدٍ منهم العذابُ.

سبب حذف متعلّق الفعل ﴿يَشْعُرُونَ﴾:

تنزيل
المشركين منزلة
العجماوات
بعدم الشعور

حُذِفَ متعلّق فعل الشعور من قول الله تعالى ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: إمّا للعموم، فهو نفيٌ لعموم الشعور عنهم، ففيه تنزيلهم منزلة البهائم، وهم خَلِيقُونَ بها؛ وإمّا لتقدير محذوفٍ خاصٍّ، وتقدير الكلام: (وهم لا يشعرون بإتيانه)، فحُذِفَ الجارُّ والمجرور لقريضة السياق الدالة عليه، إيجازاً في اللفظ، وحفاظاً على الفاصلة المتوازنة.

فائدة العطف بالفاء في ﴿فَيَقُولُوا﴾:

التعقيب إشارة
إلى التآزم
النفسي

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ لإفادة التعقيب في الوجود بعد ما جاء في قوله تعالى ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^(١) **فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً**؛ أي بوحهم بتمني الإمهال صادقٌ بأسرع تعذيب، فتكونُ خَطَرَةً في نفوسِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا في الدُّنْيَا، أَوْ يَقُولُوا ذَلِكَ وَيُرَدُّوهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ وَحِينَ يُلْقَوْنَ فِيهِ^(٢).

غرض الاستفهام المجازي ﴿هَلْ﴾:

من معاني
الاستفهام
التمني والحسرة

﴿هَلْ﴾ في قول الله تعالى ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ مُسْتَعْمَلَةٌ في استِفْهَامٍ مُرَادٍ بِهِ التَّمَنِّي مَجَازاً^(٢)، وهو تمنٍّ يمتزج بالحسرة والخسران المبين، والتأسف على ما حلَّ بهم، ولا مُجِيرَ ولا مُغِيثَ؛

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 195 / 19.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 195 / 19.

على أن الإمهال والإرجاء والإملاء لا تغني مع نزول العذاب بعدها ووقوع النّقمة، لكنّها مجرد أمني، وإملاءات النّفس، وخطرات القلب عند نزول ما تكره، وهذا على جهة التّمنيّ منهم والرّغبة حيث لا تتفع الرّغبة⁽¹⁾.

نكتة استعمال لفظ «مُنْظَرُونَ»:

جاء استعمال مفردة «مُنْظَرُونَ» على لسان المشركين في قول الله تعالى «فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ» للدّلالة على رغبتهم في الإمهال ساعة يُراجعون فيها أنفسهم، ويرجعون عن غيهم وضلالهم، لكنّها أمنية العاجز، وأمل اليائس، وفيها من الدّلة والمهانة ما يدعو العاقل أن ينأى بنفسه عن مثل هذه المواقف، فإنّ طلب الإنظار مع نزول العذاب لا ينفع أحدًا، والإنظار هو الانتظار، فكيف بالدّليل أن يُطالب صاحب الجبروت أن يُنظره ساعة من الزمن؟!

فائدة التعبير بالجملة الاسمية:

جاء بالجملة الاسميّة «نَحْنُ مُنْظَرُونَ» للدّلالة على الثّبات، أي: تَمَنّوْا إِنظَارًا طَوِيلًا يَتِمَكَّنُونَ فِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ⁽²⁾؛ وهي تعكس حديث النّفس وهواجسّها، لكن دون جدوى.

فائدة تقديم المسند إليه «نَحْنُ»:

جاء التّعبير القرآنيّ على الأصل في التّرتيب بتقديم المسند إليه على المسند في قوله تعالى: «هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ»، لإفادة الاهتمام لا للحصر؛ فهم لا يقصدون قصر الإنظار عليهم، وإنّما يعينهم الاهتمام بشأنهم وما هم فيه من كرب وضيق وشدة.

❖ الفرق المُعْجَمِيَّة:

السّلك والإدخال:

السّلك يعني نفوذ شيء في شيء، وهو بمعنى الإدخال والتّمكن

أمنية العاجز
وأمل اليائس في
طلب الإنظار

أمني المفرطين
فرط على النار

تصويز الكرب
والشدّة والضيق
الشدّيد

السّلك في الحسي
والمعنوي،
والإدخال في
الحسي

(1) ابن عطية، للحزر الوجيز: 4/ 244.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 195.

والتقرير، ويكون للشيء الحسي كالسكين واليد، وللشيء المعنوي، كالإيمان والكفر؛ بينما الإدخال يكون للشيء الحسي فقط، فناسب استعمال السلك مع القرآن أو التكذيب والكفر على الاختلاف في عودة عود ضمير ﴿سَلَكْنَهُ﴾.

العلم والشعور:

العلم يبدأ
بالعقل
والتفكير،
والشعور
يبدأ بالمشاعر
والحواس

العلم هو اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة؛ والشعور علم يوصل إليه من وجه دقيق، كدقة الشعر، ولهذا قيل للشاعر: شاعر، لفطنته لدقيق المعاني، وقيل للشعر شعيراً للشظية الدقيقة التي في طرفه، خلاف الحنطة؛ ولا يقال: الله تعالى يشعر، لأن الأشياء لا تدقُّ عنه، وقال بعضهم: الذم للإنسان بأنه لا يشعر أشد مبالغة من ذمه بأنه لا يعلم؛ لأنه إذا قال لا يشعر فكأنه أخرجه إلى معنى العجماوات، وكأنه قال: لا يعلم من وجه واضح لا خفي؛ وهذا على قول من يقول إنَّ الشعور هو أن يدرك بالمشاعر، وهي الحواس، كما أنَّ الإحساس هو الإدراك بالحاسة؛ ولهذا لا يوصف الله بذلك، وإنما يوصف بأنه عالم ويعلم⁽¹⁾.

الإنظار والإمهال والتأخير:

الإنظار مقيّد
بالنظر،
والإمهال مبهم،
والتأخير خلاف
التقديم

الإنظار مقرون بمقدار ما يقع فيه النظر، والإمهال مبهم، وقيل الإنظار تأخير العبد لينظر في أمره، والإمهال تأخيره ليسهل ما يتكلفه من عمله، والفرق بين الإنظار والتأخير: أنَّ الإنظار إمهال لينظر صاحبه في أمره، والتأخير خلاف التقديم؛ ويرشد إليه قوله تعالى حاكياً عن هود عليه السلام مخاطباً قومه: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ [هود: 55]⁽²⁾.

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 255، 254.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 254.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعراء من الآية 96 إلى سورة النَّمل الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعراء من الآية 96 إلى سورة النَّمل الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 39، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-84-6

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 39: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعراء من الآية 96 إلى سورة النَّمل الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-84-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»